

الْحَبَائِكَةُ

وَأَثَرُهَا، كَمَا جَاءَ فِيهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

إعداد الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

دكتور / محمد بن أسير أبو بكر

الحمد لله القائل

« يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »^(١)

والصلاة والسلام على من خاطبه ربه بقوله

« وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ »^(٢)

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد

فقد وردت مادة العبادة في القرآن في كثير من آياته بعبارات متعددة وردت بلفظ «عبد»، و«عباد»، «عبيد»، «عابدون»، «عابدات»، «عبادة»، «عبدنا»، «بعبد»، «نعبد»، «أعبد»، «اعبد»، «اعبدوا»، «يعبدون»، «تعبدون» وسأذكر بعض الآيات الواردة في هذا الشأن.

قال الله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(٣)

وقال: « يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »^(٤).

(١) الآية ٢١ من سورة البقرة

(٢) الآية ٩٩ من سورة الحجر

(٣) الآية ٥ من سورة الفاتحة.

(٤) الآية ٢١ من سورة البقرة.

وقال: « وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... » (٥)

وقال: « ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٦)

وقال: «... وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ... » (٧).

وقال: « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (٨)

وقال: « وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » (٩).

وقال: « وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (١٠)

(٥) الآية ٣٦ من سورة النساء.

(٦) الآية ١٠٢ من سورة الأنعام.

(٧) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٨) الآية ١٠٤ من سورة يونس.

(٩) الآية ١٢٣ من سورة هود.

(١٠) الآية ٩٩ من سورة الحجر.

وقال : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... » (١١)

وقال : « وَإِذْ أَعَزَّزْنَا مَوْحَمٌ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... » (١٢)

وقال : « ... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (١٣)

وقال : « جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا » (١٤)

وقال : « تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا » (١٥)

وقال : « يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١٦)

وقال تعالى « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ

(١١) الآية ٢٣ من سورة الإسراء.

(١٢) الآية ١٦ من سورة الكهف.

(١٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(١٤) الآية ٦١ من سورة مريم.

(١٥) الآية ٦٣ من سورة مريم.

(١٦) الآية ٧٧ من سورة الحج.

رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۚ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا ۖ ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَٰئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا
عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمِيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ ﴿٧٤﴾

(٧٧) الآيات ٧٤/٦٣ من سورة الفرقان.

وقال : « وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (١٨).

وقال سبحانه : « فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ » (١٩)

وقال : « بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » (٢٠)

وقال : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ » (٢١)

وقال : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

دِينُ الْقَيِّمَةِ » (٢٢)

وقال جل شأنه « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي

أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » (٢٣).

(١٨) الآية ٢٢ من سورة يس.

(١٩) الآية ٢ من سورة الزمر.

(٢٠) الآية ٦٦ من سورة الزمر.

(٢١) الآيات ٥٦/٥٨ من سورة الذاريات.

(٢٢) الآية ٥ من سورة البينة.

(٢٣) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة قريش .

«وبعد»

فالعبادة هي العبودية معنى وحقيقة، أنت عبد والله معبودك فكل ما يأتي به العبد في طاعة معبوده هو العبادة.

فبعد أن يعرف الانسان أنه مخلوق الخالق، ومربوب لرب، يجب عليه أن يسأل سؤالاً: لماذا خلقت في هذه الحياة؟ ولماذا تميزت على سائر الكائنات الأخرى؟ وما مهمتي فوق الأرض؟

إن كل صانع يعرف سر صناعته لماذا صنعها، ولماذا صنعها على نحو معين دون غيره؟ والله سبحانه هو صانع الانسان وخالقه ومدبر أمره، فلنسأله يارب لماذا خلقت هذا الانسان؟ هل خلقت لمجرد الطعام والشراب؟ هل خلقت للهو واللعب؟ هل خلقت لمجرد أن يمشي على التراب، ويأكل مما خرج من التراب ثم يعود كما كان إلى التراب؟ هل ليعيش تلك الفترة القصيرة المعذبة ما بين صرخة الوضع وأنة النزع؟

إذن فما سر هذه القوى والملكات التي أودعتها الانسان من عقل وإرادة وروح ؟

وسيرد الله سبحانه على هذه التساؤلات بما يبين لنا في كتابه الكريم! إنه خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض

قال تعالى: « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٢٤).

(٢٤) الآية ٣٠ من سورة البقرة .

وأول شيء في هذه الخلافة أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ويعبده حق عبادته

قال تعالى: « **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ
مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** » (٢٥).

وفي هذه الآية جعلت معرفة الله هي الغاية من خلق السموات والأرض. وقال تعالى:

« **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** » (٢٦).

إن المتأمل في هذا الكون الذي نعيش فيه يرى كل شيء فيه يحيا ويعمل لغيره، فنحن نرى أن الماء للأرض والأرض للنبات، والنبات للحيوان، والحيوان للإنسان، والإنسان لمن؟ هذا هو السؤال. والجواب الذي تنادى به الفطرة وتنطق به مراتب الكائنات في هذا الكون: أن الإنسان لله لمعرفة، لعبادته.. للقيام بحقه وحده، ولا يجوز أن يكون الإنسان لشيء آخر في الأرض أو في الأفلاك، لأن كل العوالم العلوية والسفلية مسخرة له وتعمل في خدمته كما هو مشاهد فيكون هو لها أو يعمل في خدمتها؟

ومن هنا كانت عبادة الإنسان لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ومن تحته كالشمس والقمر والنجوم والأبقار والأشجار ونحوها، قلبا للوضع الطبيعي وانتكاسا بالإنسان أى انتكاس!!

والإنسان إذن بحكم الفطرة ومنطق الكون. إنما هو لله سبحانه لا لغيره، لعبادته وحده، وكل عبادة لغير الله إنما هي من تربية الشيطان عدو الإنسان.

هذا وقد كان النداء الأول في كل رسالة

« **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** » (٢٧)

(٢٥) الآية الأخيرة من سورة الطلاق .

(٢٦) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٢٧) الآية ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ من سورة الأعراف.

وهذه العبادة الخالصة لله وحده هي العهد القديم الذى أخذه الله على بنى الإنسان وسجله بقلم القدرة فى فطرم البشرية، وغرسه فى طبائعهم الأصيلة، منذ وضع فى رؤوسهم عقولا تعى، وفى صدورهم قلوبا تحقق، وفى الكون حولهم آيات تهدى

كقوله تعالى : « أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَإِنْ
عَبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » (٢٨).

هذا العهد بين الله وبين عباده هو الذى صورته القرآن فى روعة وبلاغة حين قال:

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَىءِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا
أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۖ
أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ
بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ » (٢٩).

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين، وإرسال المرسلين، وإنزال الكتب المقدسة، هو تذكير الناس بهذا العهد، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد. ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول: «يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره» بهذا دعا قومه نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين.

(٢٨) الآيتان ٦٠ ، ٦١ من سورة يس .

(٢٩) الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ من سورة الأعراف .

قال تعالى

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ » (٣٠)

وقال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (٣١).

وقال تعالى «... بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء

« إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (٣٢).

عموم الأمر بالعبادة

وقد أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله

« وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (٣٣)

واليقين الموت كما قال تعالى على لسان قوم

« وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينُ » (٣٤)

وهو الموت.

(٣٠) الآية ٣٦ من سورة النمل .

(٣١) الآية ٢٥ من سورة الأنبياء .

(٣٢) الآية ٩٢ من سورة الأنبياء .

(٣٣) الآية الأخيرة من سورة الحجر .

(٣٤) الآيتان ٤٦ ، ٤٧ من سورة المدثر .

فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلحق بربه، لم تسقط عنه بسمو الروح ولا بالاتصال القوى بالله، وهكذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في مرض موته عابداً لله.

وقال تعالى في شأن المسيح عيسى بن مريم - الذي رفعه قومه بهتاناً وزوراً إلى مرتبة الألوهية -

« لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ؕ ﴿٣٥﴾ »

ويعرض لنا القرآن مشهداً من مشاهد يوم الحشر يسأل الله المسيح عما نسبوه إليه وافتروه عليه، فيجيب في أدب العبودية متبرناً مما صنعوا

كقوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قَالَ سُبْحَنكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ
كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

(٣٥) الآيتان ١٧٢، ١٧٣ من سورة النساء .

نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا
أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٣٦﴾.

فالأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده، والأنبياء جميعا أول العابدين لله، وعبادة الله وحده هى مهمة الانسان الأول فى الوجود كما بينت ذلك كل الرسائل

معنى العبادة

فى القاموس : العبدية والعبودية والعبادة الطاعة
وفى مختار الصحاح : أصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد التذليل والعبادة الطاعة،
والتعبد والتسك

قال تعالى « فَأَدْخُلْنِي فِي عِبَادِي » (٣٧)

أى فى حزبي.

وفى اللسان أصل العبودية الخضوع والتذلل.
«ويرى الأستاذ أبو الأعلى المودودى - استنادا إلى الاستعمال اللغوى لمادة. ع. ب. د: -
أن مفهوم العبادة الأساسى أن يذعن المرء لعلو أحد وغلبته، ثم ينزل له عن حريته واستقلاله.
ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له انقيادا وهذه هى حقيقة «العبدية» أو «العبودية» ومن
ذلك أن أول ما يتمثل فى ذهن العربى بمجرد سماعه كلمة «العبد» و «العبادة» هو تصور العبدية
والعبودية. وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هى إطاعة سيده وامتناله وأوامره فحتما يتبعه تصور
الاطاعة.

(٣٦) الآيتان ١١٦ ، ١١٧ من سورة المائدة .

(٣٧) الآية ٢٩ من سورة الفجر .

ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة وتذلاً، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه. وكان قلبه مفعاً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياديه، فإنه يبالغ في تمجيده وتعظيمه، ويتفنن في ابداء الشكر على آلائه، وفي أداء شعائر «العبدية» له، كل ذلك اسمه التأله والتسك. وهذا التصور لا ينضم إلى معاني العبدية إلا إذا كان العبد لا يُخضع لسيده رأسه فحسب، بل يخضع معه قلبه أيضاً» (٣٨).

فكان الأستاذ المودودي يرى أن أصل العبادة هو الإذعان الكلى، والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة.

ثم قد يضاف إلى هذا المعنى عنصر عاطفى جديد تتمثل فيه عبودية القلب بعد عبودية الرأس أو الرقبة ومظهر هذا العنصر هو التأله والتسك وأداء الشعائر.

ويقول الإمام محمد عبده فى تفسير قوله تعالى

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٣٩)

ما هى العبادة؟ يقولون هى الطاعة مع غاية الخضوع، وما كل عبادة تمثل المعنى تمام التمثيل وتجليه للإفهام واضحاً لا يقبل التأويل، فكثيراً ما يفسرون الشئ ببعض لوازمه، ويعرفون الحقيقة برسومها، بل يكتفون أحياناً بالتعريف اللفظى ويبينون الكلمة بما يقرب من معناها، ومن ذلك هذه العبارة التى شرحوا بها معنى العبادة، فإن فيها إجمالاً وتساهلاً، وإتنا إذا تتبعنا أى القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لـ «عبد» وما يماثلها ويقاربها فى المعنى - كخضع وخنع وأطاع وذل - نجد أنه لا شئ من هذه الألفاظ يضاهى «عبد» ويحل محلها ويقع موقعها، ولذلك قالوا: إن لفظ «العباد» مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى، ولفظ «العبيد» تكثر إضافته إلى غير الله تعالى، لأنه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق، وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى، ومن هنا قال بعض العلماء، إن العبادة لا تكون فى اللغة إلا لله تعالى، ولكن استعمال القرآن يخالفه...

ثم يقول : «يغلو العاشق فى تعظيم معشوقه والخضوع له غلوا كبيراً حتى يفنى هواه فى

(٣٨) المصطلحات الأربعة فى القرآن ص ٩٧ .

(٣٩) الآية ٥ من سورة الفاتحة .

هواه، وتذوب إرادته في إرادته، ومع ذلك لا يسمى خضوعه هذا عبادة بالحقيقة، ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والأمراء، فترى من خضوعهم لهم وتحريم مرضاتهم ما لا تراه من المتحنتين القانتين، دع سائر العابدين، ولم يكن العرب يسمون شيئا من هذا الخضوع عبادة.

فما هي العبادة إذا ؟

تدل الأساليب الصحيحة، والاستعمال العربى الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة للمعبود، لا يعرف منشأها. واعتقاده بسلطة له لا يدرك تفهمها وماهيتها، وقصارى ما يعرفه منها أنه محيطة به، ولكنها فوق إدراكه، فمن ينتهى إلى أقصى الذل للملك من الملوك لا يقال إنه عبده وإن قبل مواطئ أقدامه...» (٤٠) ا هـ .

فالشيخ يرى أن الذى يميز العبادة عن غيرها من ألوان الخضوع والتذلل والانقياد ليس هو درجة الخضوع والطاعة كما يقول اللغويون الذين يرون العبادة هى أقصى الطاعة والخضوع.

وإنما ينظر إلى منشأ هذا الخضوع والانقياد ، فإن كان منشؤه وسببه أمرا ظاهرا كالملك والقوة ونحوها فلا يسمى عبادة، وإن كان منشؤه الاعتقاد بأن للمعبود عظمة وقدرة في الإدراك والحس فهذا هو العبادة.

وينظر شيخ الإسلام ابن تيمية (٤١) إلى العبادة نظرة أعمق وأوسع، فهو يحلل معناها إلى عناصره البسيطة. فيبرز إلى جوار المعنى الأصلى فى اللغة - وهو غاية الطاعة والخضوع - عنصرا جديدا له أهمية كبرى فى الإسلام، عنصرا لا تتحقق العبادة - كما أمر الله - إلا به وذلك هو عنصر «الحب» فبغير هذا العنصر العاطفى الوجدانى لا توجد العبادة التى خلق الله لها الخلق، وبعث بها الرسل وأنزل الكتب...

(٤٠) المنار ج ١ ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٤١) رسالة العبودية .

ويقول : «الدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال: دنته فدان أى أذلته فذل. ويقال: يدين الله ويدين لله أى يعبد الله ويطيعه ويخضع له.

فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له»...

«والعبادة أصل معناها: الذل أيضا يقال طريق معبد إذا كان مذلا قد وطئته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له»...

ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابدا له، ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له، كما قد يجب الرجل ولده وصديقه. ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شىء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله، وكل ما أحب لغير الله فمحبه فاسدة، وما عظم لغير أمر الله فتعظمه باطل. قال الله تعالى:

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ » (٤٢) .. ا. هـ .

وبهذا الشرح العميق لمعنى العبادة وحقيقتها ندرك أن العبادة المشروعة لا بد لها من أمرين..

الأول : هو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله أمرا ونهيا، وتحليلا وتحريما.

وهذا هو الذى يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله.

(٤٢) الآية ٢٥ من سورة التوبة .

فليس عبدا ولا عابدا لله من رفض الاستسلام لأمره، واستكبر عن اتباع نهجه والانقياد لشرعه، وإن أقر بأن الله خالقه ورازقه. فقد كان مشركوا العرب يقرون بذلك، ولم يجعلهم القرآن بذلك مؤمنين ولا عباد الله طائعين.

فخضوع الاقرار بالربوبية لا يكفي، وخضوع الاستعانة في الكربات، والاستعانة في الشدائد لا يكفي، ولا بد من خضوع التعبد والانقياد والاتباع الذي هو حق الألوهية.

وهذا يتحقق معنى «إياك نعبد وإياك نستعين».

وأساس الخضوع لله تعالى هو الشعور الواعي بوحداية الله تعالى وقهره لكل من في الوجود، وما في الوجود كلهم عبيده وخلقه، وفي قبضة قدرته وسلطانه. وفي هذا يقول القرآن

«وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٥٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا نَخْلَقْهُ فَنَشَبَّهُ خَلْقًا عَلَيْهِمْ
قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٣﴾».

فأساس الخضوع لله الواحد القهار هو الشعور الذاتى بالحاجة إلى من يملك الضر والنفع، والموت والحياة، ومن له الخلق والأمر، ومن بيده ملكوت كل شيء، ومن إذا أراد شيئا قال

(٤٣) الآيتان ١٥، ١٦ من سورة الرعد .

له كن فيكون. الشعور بالضعف أمام من يملك القوة كل القوة، والشعور بالجهل أمام من أحاط بكل شيء علما، والشعور بالعجز أمام من يملك القدرة كل القدرة، والشعور بالفقر أمام من يملك الغنى كل الغنى.

شعور بالعبودية المخلوقة الفانية الفقيرة بالذات أمام الربوبية الخالقة الأزلية الأبدية المالكة لكل شيء، والمدير لكل أمر. وكلما ازداد الانسان معرفة بنفسه ومعرفة بربه ازدادت هذه المشاعر وضوحا وقوة، فقوى اعتماده على الله واتجاهه إليه وتوكله عليه واستعانت به، وتذلل له، ومد يد الضراعة إليه سبحانه، ووقفه ببابه سائلا داعيا منيبا إليه.

فإذا جهل الإنسان قدر نفسه، وجهل قدر ربه لم تمت هذه المشاعر ولكنها تنحرف وتتحول، فتبحث لها عن رب تتجه إليه وتخضع له، وتنقاد إليه ولابد، وإن لم تشعر بذلك، أو لم نسمه خضوعا وانقيادا، ولم تسم مقصودها ربا وإله.

والأمر الثاني : - أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى فليس في الوجود من هو أجدر من الله تعالى بأن يحب، فهو صاحب الفضل والاحسان، الذى خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا، وخلق له ما فى الأرض جميعا، وأسبغ عليه نعمه ظاهره وباطنه، وخلق له فى أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، ورزقه من الطيبات، وعلمه البيان، واستخلفه فى الأرض، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فمن أولى من الله بأن يحب، ومن يحب الانسان - إذن - إن لم يحب الله تعالى؟

إن أساس محبة الله هو الشعور بفضله ونعمته، وإحسانه ورحمته، والاحساس بجماله وكماله.

فمن كان يحب الاحسان فالله هو واهبه وصاحبه، ومن كان يحب الجمال فالله هو مصدره، ومن كان يحب الكمال فلا كمال فى الحقيقة إلا كماله، ومن كان يحب ذاته فالله هو خالقه.

فمن عرف الله أحبه، وبقدر درجته فى المعرفة تكون درجته فى المحبة، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس حبا لله لأنه كان أعرفهم بالله.

وكانت قرة عينه فى الصلاة لأنها الصلاة المباشرة بين قلبه وبين الله، وكان فى دعائه يسأل

الشوق إلى لقائه، ولذة النظر إلى وجهه سبحانه. ولما خير صلى الله عليه وسلم بين البقاء في الدنيا واللاحق بربه اختار الرفيق الأعلى.

من عرف نفسه فقد عرف ربه. من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة، ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة، ومن عرف نفسه بالفقر عرف ربه بالغنى، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء ومن عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، فهو المخترع الموجد له، وهو المبقى له، وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه، وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب وإلا فالعبد - من حيث ذاته - لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف. لولا فضل الله عليه بالايحاء، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالايقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته، وليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحى، الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به. «فإن أحب الإنسان ذاته أحب الموجد لذاته».

فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه. إذ المحبة ثمرة المعرفة فتتعمد بانعدامها وتضعف بضعفها، وتقوى بقوتها.

ومحبة الله سبحانه ضرورية لكل من عرف نفسه وعرف ربه.

ومن يدعى المحبة لله سبحانه دون الاتباع والانقياد لما جاءت به رسل الله - كاليهود والنصارى الذين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، مع أنهم انحرفوا عما نزلت به كتب الله، ودعا إليه رسله، وحرفوا الكلم عن مواضعه فحادوا عن الصراط المستقيم - ففى ذلك الخطر كل الخطر.

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

لا بد - إذن - فى العبادة من غاية الخضوع لله وغاية المحبة له سبحانه كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

هذا وقد جعل الله لأهل محبته علامتين الأولى : - اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى:

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٤٤).

الثانية : - الجهاد في سبيله، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من
الايمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان. قال تعالى:

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » (٤٥).

«وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (٤٦) وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه قال يارسول الله والله لأنت أحب إلى من كل شئ إلا من نفسى فقال لا ياعمر. حتى
أكون أحب إليك من نفسك فقال: فوالله لأنت أحب إلى من نفسى فقال: - أى الرسول -
الآن ياعمر» (٤٧).

(٤٤) الآية ٣١ من سورة آل عمران .

(٤٥) الآية ٢٥ من سورة التوبة .

(٤٦) مسلم ج ١ ص ٥٥ فتح البارى ج ١٠ ص ٥٥ .

(٤٧) البخارى ج ١١ ص ٥٢٣

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهو موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض.
والله يحب الإيمان والتقوى. ويبغض الكفر والفسوق والعصيان.

لماذا العبادة ؟

عرفنا أن العبادة هي غاية الخضوع المزوج بغاية الحب لله.
وقد يسأل سائل لماذا نعبد الله أو لماذا فرض الله علينا العبادة والطاعة له وهو الغنى عنا؟
نعم !! الله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين وليس في حاجة إلى عبادة أو مخلوق من مخلوقاته، ليزداد شرفاً أو قدراً أو علواً، إنه سبحانه لا تنفعه عبادة من عبده، ولا يضره إعراض من صد عنه، ولا يزيد في ملكه حمد الحامدين، ولا ينقصه جحود الجاحدين. فهو الغنى ونحن الفقراء إليه وصدق الله حيث قال:

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا^ج
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » (٤٨).

وقال جل شأنه :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^ط » (٤٩).

وقال في الحديث القدسي: «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد مازاد ذلك فى ملكى شيئاً، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً»^(٥٠) وقد أخبرنا سبحانه على لسان سليمان عليه السلام فى القرآن الكريم

(٤٨) الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

(٤٩) الآية ١٥ من سورة فاطر .

(٥٠) رواه مسلم .

« قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ
شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ
كَرِيمٌ » (٥١).

وقال سبحانه :

« وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (٥٢).

وإذا كان الله غنيا عن العالمين هذا الغنى المطلق فلماذا كلفهم بعبادته وطاعته والانقياد
لأوامره ونواهيه؟.

إن ذلك لسبب بسيط ، وهو أن هذه العبادة ، وأن هذا الانقياد يعود بالنفع على هذا
الإنسان ففيه سعادته في الدنيا والآخرة.. فيه تصحيح حياته في المثوى والمهات. وفي العبادة
غذاء الروح ، فالإنسان ذو طبيعتين ، طبيعة الطين وطبيعة الروح ، فالروح تطلب الصفاء والجمال
وتحن بحكم خلقتها إلى مادتها فهي محتاجة إلى صلتها بالله فالوجدان الإنساني يشعر دائما
أبدا أنه في حنين إلى أصله. فحقيقة الإنسان في ذلك الجوهر النفيس الذي صار به إنسانا
مكرما سيدا على ما فوق الأرض من كائنات، ذلك هو جوهر الروح الذي يجد حياته وزكاته في
مناجاة الله عز وجل. وعبادة الله هي التي توفر للروح غذاءه وغناه وقده بمدد يومي لا ينفد
ولا يغيض. والطين يطلب الشهوات الجسدية، ويميل إليها بحكم خلقته، وهو فيها يستوى مع
الحيوانات تماما.

يا خادماً الجسم كم تشقى لخدمته أطلب الربح مما فيه خسران
فانهض إلى الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(٥١) الآية ٤٠ من سورة النمل .

(٥٢) الآية ١٢ من سورة لقمان .

ولئن تراكم على جوهر الروح الغفلة والغرور، وران عليه صدأ المجحود أو الشك، فقد تهب عواصف المحن فتزيع الغبار أو تندلع نار الشدائد فيزول الصدأ. وسرعان ما يعود الانسان إلى ربه فيدعوه ويتضرع إليه. وهذه حقيقة ذكرها القرآن وأيدتها وقائع الحياة قال تعالى:

« هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجِيتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ » (٥٣).

إن القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله، وهو شعور أصيل صادق لا يلبأ فراغه شئ في الوجود إلا حسن الصلة برب الوجود وهذا ما تقوم به العبادة إذا أدبت على وجهها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «إن القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين. من جهة العبادة ومن جهة الاستعانة والتوكل فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وحبه والانابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوه ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله، فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك إلا الله، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة «إياك نعبد وإياك نستعين» فإن لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادة لله فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا باخلاص الحب لله، بحيث يكون الله هو غاية مراده، ونهاية

(٥٣) الآية ٢٢ من سورة يونس .

مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يُحِبُّ لأجله، لا يُحِبُّ شيئاً لذاته إلا الله» (٥٤). ١ هـ .

وهكذا كلما أخلص المرء العبودية لله وجد نفسه، واهتدى إلى سر وجوده، ووجد مع ذلك سعادة روحية لا تدانيها سعادة تتمثل فيما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم «حلاوة الإيمان» وإن لهذه الحلاوة لطمعا لا يتذوقه إلا من عرف الله، وآثره على ما سواه. قال ابن القيم الجوزية : (إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورزقها، ومحييها ومحييها، فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح وسر النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول وقرّة العيون، وعامرة الباطن.

فليس عند العقول السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزاكية، أحلى ولا ألد ولا أطيب، ولا أسر ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة..» (٥٥) ١ هـ .

وبعد : فالأصل في العبادات أن تؤدي امتثالاً لأمر الله وأداء لحقوقه على عباده، وشكراً لنعمائه التي لا تنكر، وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الانسان المادية، وليس من الضروري أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود، والأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الانسان لربه، فلا معنى لأن يدرك السر في كل تفصيلاتها. فالعبد عبد والرب رب، وما أسعد الإنسان إذا عرف قدر نفسه.

ولو كان الانسان لا يتعبد لله إلا بما يوافق عليه عقله المحدود، وعرف الحكمة فيه تفصيلاً، فإذا عجز عن إدراك السر في جزئية أو أكثر من جزئياته أعرض ونأى بجانبه لكان في هذه الحالة عبد عقله وهواه لا عبد ربه ومولاه.

إن العبودية لله شعارها الايمان بالغيب ولو لم تره، والطاعة للأمر ولو لم تحط بسره. وحسب المؤمن أن يعلم بالاجمال أن الله غنى عن العالمين، وإذا تعبد سبحانه عباده بشيء

(٥٤) رسالة العبودية ص ١٠٨ .

(٥٥) إغائة اللفهان ج ٢ ص ١٩٧ .

فإنما يتعبدون بما يصلح أنفسهم، ويعود عليهم بالخير في حياتهم الروحية والمادية، الفردية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية بيد أن الإنسان المحدود قد تحفى عليه حكمة الله جل علاه - وكم لله من أسرار خافية حتى عن أفهام الأذكىاء من الناس، وكما أخفى سبحانه كثيرا من أسرار هذا الكون عن الإنسان أخفى عليه بعض أسرار ما شرع ليظل الإنسان في هذا وذاك متطلعا بأشواقه وراء المجهول آملا في الوصول، معترفا بالقصور، وليظل دائما في دائرة العبودية المؤمنة التى شعارها دائما.

« سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ »

صور العبادة وأنواعها

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. ولها صور كثيرة شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهى الأعلى الذى هو روح العبادة وسرها.

وقد افترض عليه لهذا الغرض مجموعة من العبادات تهتة لهذه العبادة الكبيرة، فكأنه ليست هذه العبادات المفروضة إلا بمثابة التربية للعبادة الكبيرة المنشودة، فكل من يتلقى هذه التربية على أحسن وجه، يؤدى العبادة الحقيقية على الوجه المراد، ومن أجل ذلك جعلت هذه العبادات عين الفريضة فى الإسلام، أو أنها أركان الدين، أى دعائمه التى يقوم عليها بناء، فكما أن كل بناء لا يقوم إلا على مجموعة من الدعائم، كذلك لا يقوم بناء الحياة الإسلامية إلا على هذه الدعائم، فمن هدمها فقد هدم بناء الإسلام نفسه.

إن أول ما يتحلى به الإنسان حتى تكون عبادته صحيحة مقبولة وحتى يكون عبدا لله خالصا أول ما يتحلى به عقيدة التوحيد التى تخلصه من سلطان الخرافة والوهم، وتفك أسرهِ من عبودية الأهواء والشهوات حتى يكون عبدا خالصا لله يتجرد للاله الخالق المعبود، ويستعلى بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذى له الكمال المطلق، ومنه

(٥٦) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

يمنح الخير للخلائق كلها، إنه خالق واحد لا أول له ولا آخر قدِير على كل شيء، عليه بكل شيء، محيط بكل شيء، ليس كمثله شيء

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (٥٧).

« هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٥٨)

« وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٥٩)

« ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٦٠)

« وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » (٦١)

« وَاللَّهُ بِصِرِّمَا يَعْمَلُونَ » (٦٢)

(٥٧) سورة الاخلاص

(٥٨) من سورة الحديد . الآية ٣ .

(٥٩) الآية ٨٨ من سورة القصص .

(٦٠) الآية ١٠٢ من سورة الأنعام .

(٦١) من الآية ٢٧ من سورة الأحزاب .

(٦٢) من الآية ٩٦ من سورة البقرة .

« أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ » (٦٣)

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٦٤)

ويؤكد القرآن الكريم وحدانية الله بالحجج الناطقة التي لا تقبل الجدل والمراء بقوله

سبحانه

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » (٦٥)

« قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَتَّغُوا إِلَى
ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا » (٦٦)

« وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا
خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا
يَصِفُونَ » (٦٧)

وإذا صحت عقيدة المسلم كان عليه أن يأخذ بشرائع الله في الفرائض والعبادات، وكل
عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد ولكنها مع ذلك ذات علاقة بصلاح المجتمع.

وأول العبادات المفروضة «الصلاة» وقد عنى الإسلام بها في كتابه وسنته وشدد كل
التشديد في طلبها، وحذر أشد التحذير من تركها فهي عمود الدين، ومفتاح الجنة، وخير

(٦٣) من الآية ٥٤ من سورة فصلت .

(٦٤) الآية ١١ من سورة الشورى .

(٦٥) الآية ٢٢ من سورة الأنبياء .

(٦٦) الآية ٤٢ من سورة الإسراء .

(٦٧) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .

الاعمال وأول ما يحاسب عليه المؤمن يوم القيامة، يذكرها القرآن في دعاء الخليل ابراهيم

« رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءِ » (٦٨).

ويمدح بها الذبيح اسماعيل

« وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرْضِيًّا » (٦٩)

ويأمر الله كلمه موسى باقامتها في ساعات الوحي الأولى

« وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » (٧٠)

وفي وصية لقمان لابنه

« يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » (٧١)

ويأمر الله بها خاتم أنبيائه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله

« أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ » (٧٢)

(٦٨) الآية ٤٠ من سورة ابراهيم .

(٦٩) الآية ٥٥ من سورة مريم .

(٧٠) الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة طه

(٧١) الآية ١٧ من سورة لقمان .

(٧٢) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

ويجعلها صفة جوهرية من صفات المتقين تتلو الايمان بالغيب

« ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » (٧٣)

ويؤكد المحافظة عليها في السفر والحضر والأمن والخوف، والسلم والحرب بقوله

« حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا
لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٧٤﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا » (٧٤)

أى فصلوا في حال الخوف والحرب مشاة أو راكبين حسب استطاعتكم.

وينذر بالويل والهلاك من استخف بها أو تهاون في أدائها بقوله

« * تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » (٧٥)

وليس المراد أنهم تركوها بالكلية بل أنهم أخروها عن أوقاتها. وبقوله

« فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ » (٧٦)

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوما فقال: «من حافظ عليها كانت له نورا

(٧٣) الآيةان ٢ ، ٣ من سورة البقرة .

(٧٤) الآيةان ٢٣٨ ، ٢٣٩ من سورة البقرة .

(٧٥) الآية ٥٩ من سورة مريم .

(٧٦) الآيةان ٤ ، ٥ من سورة الماعون .

وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف»^(٧٧)

وقال عليه الصلاة والسلام: «من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله»^(٧٨) وقد فرضت الصلاة دون غيرها من العبادات في السماء ليلة الاسراء والمعراج بخطاب مباشر من رب العالمين إلى خاتم المرسلين.

إن الصلاة هي التي لا تتفك تدعم إسلامك خمس مرات في كل يوم، وتعدك للعبادة الواسعة الحقيقية، وهي التي تذكرك دائماً بالعقائد التي تنحصر فيها طهارة نفسك وارتقاء روحك وصلاح أخلاقك وأعمالك، أفرأيت لماذا تتبع في وضوئك ذلك الطريق الخاص الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولماذا تقرأ في صلاتك بتلك الكلمات التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم؟ أليس ذلك لأنك ترى طاعة الرسول واجبة على نفسه، ولماذا لا تخطئ عمداً فيما تقرأ من القرآن في صلاتك؟ أليس ذلك لأنك موقن بأن القرآن كتاب الله؟ ومن ذا الذي تحشاه إذا قرأت في صلاتك بكلمات غير الكلمات التي علمها الرسول أو لم تقرأ بها أصلاً؟ وما هناك من أحد من البشر يسمعك تقرأ في صلاتك بشئٍ أولاً تقرأ؟ أليس ذلك لمجرد علمك أن الله يسمعك ويخفي عليه أمرك عندما تقرأ خفية في نفسك؟ وما الذي يدعوك إلى أن تذمراً تكون فيه من شغلك وتسعى إلى الصلاة إذا جاء وقتها، أفليس هو شعورك بأن الله هو الذي فرض عليك هذه الصلاة؟ وما الذي يجبرك على الصلاة وقت الصبح شتاءً، ووقت الظهر صيفاً، ووقت الراحة عصراً، ووقت النوم عشاء كل يوم؟ أفهذا شئٌ غير شعورك بالواجب؟

هذا وقد كررها سبحانه خمس مرات في اليوم لتكون حمماً روحياً للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه، وأدران خطاياها، وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في حديثه الشريف فقال: «أرأيتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى على بدنه من درنه شئٌ؟ قالوا لا قال كذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا»^(٧٩)

(٧٧) رواه الامام احمد ج ٢ ص ١٦٩ وابن حبان .

(٧٨) البخارى ج ٢ ص ٢٤، الموطأ ج ١ ص ١١، ١٢، ابوداود رقم ٤١٤، ٤١٥، الترمذى رقم ١٧٥ التسانى ج ١ ص ٢٣٨ .

(٧٩) متفق عليه .

وأى انسان يمر عليه يوم من غير خطايا وهفوات ؟
ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بكل وسائل التوضيح عمل الصلاة في
محو الخطايا التي تبدو من الانسان في صباحه ومساءله، فيروى لنا عن سلمان الفارسي (٨٠) أنه
كان معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال: يا سلمان، ألا
تسألنى لم أفعل هذا؟ قلت ولم تفعله؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى
الصلوات الخمس تحات خطاياه، كما تحات هذا الورق، ثم تلا الآية الكريمة

« وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ » (٨١)

والصلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للروح كما أن للمعدة وجباتها اليومية، ففي
مناجاة العبد في صلاته شحنة روحية تثير قلبه وتشرح صدره، وتأخذ بيده من الأرض إلى
السماء؛ وتدخله إلى الله بلا باب، وتقفه بين يديه بلا حجاب فيكلمه بلا ترجمان، ويناجيه
فيناجى قريباً غير بعيد، ويستعين به فيستعين بعزيز ويسأله فيسأل غنياً، تكاد تشف روحه
ويصفو نفسه فتسمع كلام الله الذى يقول في حديثه القدسي: «قسمت الصلاة بيني وبين
عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدنى عبدى
فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى على عبدى فإذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى
عبدى، فإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل،
فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين» قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل» (٨٢)

ثم إن الله قد أكد تأكيداً شديداً أن يؤدى المسلمون فريضة الصلاة جماعة وافترض
عليهم أن يؤدوا صلاة الجمعة في كل اسبوع بالجماعة على الوجه الخاص، فالصلاة جماعة
تنشئ الاتحاد والمحبة والاخاء بين المسلمين وتجعل منهم كتلة مترابطة، فإنهم عندما يجتمعون

(٨٠) رواه احمد والنسائي والطبراني .

(٨١) الآية ١١٤ من سورة هود .

(٨٢) رواه مسلم وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١١

ويقتنون لربهم ويسجدون له ويركعون معا تأتلف قلوبهم، وينشأ فيهم الشعور بأنهم إخوة فيما بينهم، ثم إن صلاة الجماعة تربيهم على النظام والانضباط والمحافظة على الأوقات، وتنشأ فيهم المواساة والتراحم والانتلاف، فتراهم جميعهم غنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم وأغلاهم وأدناهم يقومون جنبا إلى جنب، فلا شريف فيهم ولا دنى ولا رفيع ولا وضع بعد كل ذلك هل يمكن أن تكون في الدنيا تربية خير من الصلاة تجعل المرء مسلما حقا؟ وهل يمكن أن تكون للإنسان تربية خير من أن يجدد ذكر الله تعالى وخشيته، واليقين بكونه خيرا بصيرا، والاعتقاد بالحضور في محكمة يوم القيامة، ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات في ليله ونهاره، ويتدرب على القيام بالواجب بعد كل ساعات من يومه وليله؟

إن هذا الإنسان يرحى منه عندما يشتغل بأمور معاشه بعد خروجه من المسجد أن يخاف الله ويتبع قانونه ويتذكر عند كل خطيئة يزنيها الشيطان في قلبه أن الله ناظره ولا يخفى عليه أمر من أموره وصدق الله القائل

« أَتَلُمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » (٨٣)

ثانيا : - الزكاة

الزكاة هي العبادة المالية الاجتماعية الهامة وهي الفريضة الثانية في الإسلام قرنها القرآن بالصلاة في عشرات المواضع، وذكرها تارة بلفظ الزكاة وتارة بلفظ الصدقة وأحيانا بلفظ الانفاق ففي مفتتح سورة البقرة يصف الله المتقين الذين ينتفعون بهدى كتابه

« الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » (٨٤)

(٨٣) الآية ٤٥ من سورة النكبات .

(٨٤) الآية ٣ من سورة البقرة .

وفي آيات أخر من السورة

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٨٥)

إلى غير ذلك. إن الزكاة ركن مهم من أركان الدين الإسلامى، لأنها تحلّى المسلمين بأوصاف التضحية والايثار لوجه الله تعالى، وتزيل عن قلوبهم الأثرة وحب الذات وضيق الصدر وعبودية المال وما إلى تلك من الصفات الدنيئة الأخرى.

لا حاجة للإسلام إلى البخيل الشحيح، الذى يعبد المال ويتكالب عليه فإنه لا ينفعه فى قليل ولا كثير. ولا يهتدى إلى الإسلام ويتبع طريقه المستقيم، ويسلك سلوكا مستمرا إلا من إذا جاءه أمر من أوامر الله ضحى فى سبيله بما له الذى اكتسبه بعرق جبينه بدون أدنى غرض ذاتى.

والزكاة تروض المسلم على هذه التضحية وتجعله قابلا لثلا يثاقل إلى أمواله، ولا يجعل يده مغلولة إلى عنقه إذا بلغ الأمر مبلغ الجذواققتضى بذل المال بل ينفعها بكل انشراح وطيب خاطر منه.

والزكاة تجعل المسلمين يتناصرون ويتكافأون فيما بينهم حتى لا يبقى فيهم جائع ولا عار ولا مهين، ويكفل غنيهم فقيرهم ويعلم أن فى ماله حقا معلوما للسائل والمحرم...

وليست الزكاة تشجيعا للبطالة، ومعاونة لطائفة مرتزقة - كما يظن من لا يعرفون - كلا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة - أى قوة وشدة - سوى» (٨٦) أى سليم الأعضاء.

جاء رجلان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها، فرفع البصر وخفضه فراها جليدين - قوين - فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى،

(٨٥) الآية ١١٠ من سورة البقرة .

(٨٦) رواه ابو داود والترمذى .

ولا لقوى مكتسب»^(٨٧) وإنما خيرهما الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنها قد يكونان قوين في ظاهر أمرهما، ولكنها غير مكتسبين، أو يكتسبان مالا يكفيهما.

فالواجب على كل مسلم أن يعمل ، فإن عجز عن عمل يقوم بكفايته، فلن يهلك في مجتمع مسلم بل تقوم الزكاة بإيفائه حاجاته المعقولة.

والزكاة طهارة للمجتمع كله - اغنيائه وفقرائه - من عوامل الهدم والفرقة والصراع والفتن، وصدق الله حيث قال:

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا »^(٨٨).

ثالثا : - الصوم

وهو الامتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو أيضا كف النفس عما تشتهي به بنية القرب إلى الله. وفي الصوم تقوية للروح التي بها يعقل الانسان وبها يشعر ويتذوق، وبها يدبر ملك الأرض ويتطلع إلى ملكوت السماء، وبها أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم.

ومن هنا فرض الله الصيام ليحرر الانسان من سلطان غرائزه وينطلق من سجن جسده ويتغلب على نزعات شهوته، ويتحكم في مظاهر حيوانيته، ويتشبه بالملائكة، فليس عجيبا أن يرتقى روح الصائم ويقترب من الملأ الأعلى، ويقرع أبواب السماء بدعائه فتفتتح ويدعو ربه فيستجيب له وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل ودعوة المظلوم...»^(٨٩).

وفي الصوم تقوية للإرادة وتربية على الصبر، والصوم يذكر بالنعمة ويذكر بحرمان المحرومين فيحمل الغنى على العطاء ومد يده إلى المساكين، وفي الصوم تمام التسليم لله وكمال العبودية لرب الناس ملك الناس إله الناس.

(٨٧) رواه ابو داود والنسائي .

(٨٨) الآية ١٠٣ من سورة التوبة .

(٨٩) رواه الترمذي وحسنه ورواه الامام احمد .

وهذا قدر مشترك في كل عبادة وهدف أسمى من كل فريضة، ولن تكون عبادة إلا بها، وكل ذلك يحقق معنى التقوى الذى جاءت به الآية الكريمة

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٩٠).

ثم إن الله تعالى لم يفرض الصيام على المسلمين جميعا إلا في شهر واحد بعينه ليصوموا جميعا لا متفرقين، وفي ذلك أيضا كثير من المنافع حيث يكون فيهم الشعور العام بأنهم جميعا جماعة واحدة، وتلك وسيلة ناجحة لتنشأ فيهم عاطفة التحاب والإخاء والمساواة والتعاون والوحدة.

رابعاً : الحج

وهو تلك الرحلة الفريدة في عالم الأسفار والرحلات ينتقل المسلم فيها ببدنه وقلبه إلى البلد الأمين للوقوف بعرفات، والطواف ببيت الله الحرام، الذى جعله الإسلام رمزا لتوحيد الله، ووحدة المؤمنين به، ففرض على المسلم أن يستقبله كل يوم في صلواته

«وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» (٩١)

ثم فرض عليه أن يتوجه إليه بشخصه ويطوف به بنفسه في العمر مرة واحدة، وفي الحج من الأسرار والحكم ما فيه، فما الاحرام في حقيقته إلا التجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله، وعلى التفكير في جلاله، وما التلبية إلا شهادة على النفس بهذا التجرد وبالتزام الطاعة والامثال، وما الوقوف إلا بذل المهج في الضراعة بقلوب مملوءة بالخشية وأيد مرفوعة بالرجاء، وألسنة مشغولة بالدعاء وآمال صادقة في أرحم الراحمين.

وفي الحج كثير من المنافع الدنيوية إلى جانب المنافع الدينية، فمنها أن مكة المكرمة قد

(٩٠) الآية ١٨٣ من سورة البقرة .

(٩١) الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

جعلت مركزا للمسلمين، تهوى إليه نفوسهم من جميع نواحي الأرض على اختلاف سلالاتهم وأوطانهم فيشعرون أنهم إخوة فيما بينهم وأنهم لا يؤلفون بمجموعهم إلا أمة واحدة، فكان الحج هو عبادة الله في جانب، ثم مؤتمر عالمي سنوي يفد إليه المسلمون من جميع نواحي الأرض وأقطارها بالجانب الآخر فهو أكبر وسيلة وأنجح طريقة لتربية الاخوة الإسلامية العالمية، على الاتحاد والمحبة والتعاون. وفيه من الجانب المادى فرصة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين وصدق الله القائل

« لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » (٩٢)

والقائل « لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ » (٩٣)

وفي الحج ترى المساواة في أجلى صورها وأتمها فالجميع قد تجردوا من ملابسهم المختلفة المتباينة ولبسوا ذلك اللباس البسيط الذى هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى يلبسه الأمير كما يلبسه الفقير ويطوفون بالبيت بلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة ومن لا يملك قوت يومه، ويقفون بعرفات فلا تحس بفقر فقير ولا غنى غنى ولا تحس حين تراهم في ثيابهم البيض وفي موقفهم المزدحم إلا أنهم أشبه الناس في ساحة العرض الأكبر يوم يخرجون من الأجداث (٩٤) إلى ربهم ينسلون (٩٥).

وفي الحج طريقة فذة لتدريب المسلم على السلام، فهو رحلة سلام إلى أرض سلام في زمن سلام...

إن الأرض المقدسة وما لها من ذكريات، وشعائر الحج وما لها من أثر في النفس كل هذا يترك أثره واضحا في أعماق المسلم فيعود من رحلته أصفى قلبا واطهر مسلكا، وأقوى عزيمة على الخير وأصلب عودا أمام مغريات الشر، وكلما كان حجه مبرورا خالصا لوجه الله كان أثره في حياته المستقبلية يقينا لاريب فيه.

(٩٢) الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

(٩٣) من الآية ٢٨ من سورة الحج .

(٩٤) القبور .

(٩٥) يتسلون أى يسرعون في الخروج .

فالْحَجُّ شحنة روحية كبيرة يتزود بها المسلم فتعلاً جوانحه خشية وتقى لله رب العالمين، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتقذى فيه روح فيه عاطفة الحب لله ولرسول الله، ولن عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، وتوقظ فيه مشاعر الاخوة لأبناء دينه فى كل مكان. إن هذه الشحنة الروحية تهز كيانه هذا، بل تنشئه خلقاً آخر، وتعيده كأنه مولود جديد يستقبل الحياة وكله طهر ونقاء.

مصدق هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (٩٦).

وتشمل العبادة كذلك - صدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والاحسان للجار واليتيم والمساكين وابن السبيل، وتشمل الدعاء والذكر وقراءة القرآن وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والانابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عقابه وأمثال ذلك، فللعبادة أفق رحب ودائرة واسعة، فهي تشمل كذلك الأخذ بالأسباب ومراعاة السنة التى أقام الله عليها الكون، فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة، فعبادة الله تسع الحياة كلها، فكل ذى حرفة فى الحياة عظمت أو صغرت تعد عبادة إذا كان العمل مشروعاً فى نظر الإسلام ومصحوباً بنية صالحة ومؤدى باتقان وإحسان وأن يلتزم صاحبه حدود الله، فلا يظلم ولا يخون وألا يشغله العمل الدنيوى عن واجباته الدينية كما قال تعالى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (٩٧).

وقال «رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ

(٩٦) رواه البخارى وأحمد والنسائى .

(٩٧) الآية ٩ من سورة المنافقون .

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ « (٩٨).

إذا راعى المسلم هذه الأمور كان سعيه عبادة.

فهادم الانسان يخدم الأمة في ناحية من نواحيها الضرورية، ومادام يؤدي عملا لازما للجماعة بحيث ينشأ عن تعطيله فساد وضرر سواء بالنسبة لنفسه أو لغيره كان ذلك العمل عبادة وكان القائم به مثابا عند الله، وكان الأجر عليه حلالا طيبا، فالحاكم يدير سياسة الدولة، والطبيب يداوى المرضى، والمدرس يربى الناشئة، والمهندس يقيم المشروعات، والقاضى يقيم العدالة، والشرطى يضرب على أيدي المفسدين، والزارع في حقله والتاجر في متجره، والموظف في مكتبه والعامل في عمله، هؤلاء وأمثالهم لهم مكانة عند الله تعالى وإن عملهم هذا عبادة إذا خلصت نياتهم.

إن عبادة الله - إذن - ليست محصورة في الصلاة والصيام والحج والجهاد والذكر والدعاء والاستغفار كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين.

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في بقاء الإسلام - على منزلتها وأهميتها - إنما هي جزء من العبادة لله، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده. فدائرة العبادة رحبة واسعة تشمل شئون الانسان كلها وتستوعب حياته جميعا...

إن كل عمل اجتماعي نافع يعده الإسلام عبادة من أفضل العبادات مادام قصد فاعله الخير، كل عمل يسمح به الإنسان دمة محزون، أو يخفف به كربة مكروب، أو يضمده به جراح منكوب، أو يسد به رمق محروم، أو يشد به أزر مظلوم، أو يقضى به دين غارم مثقل، أو يأخذ بيد فقير متعفف ذى عيال، أو يهدى حائرا، أو يعلم جاهلا، أو يأوى غريبا، أو يدفع شرا عن مخلوق، أو أذى عن طريق، أو يسوق نفعا إلى ذى كبد رطبة، فهو عبادة وقربة إلى الله إذا أخلص الإنسان فيه النية.

وإن نظرة واعية إلى بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ستعرفنا هذه الحقيقة.

(٩٨) الآية ٣٧ من سورة النور.

قال سبحانه :

« ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهِمْ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَحْمَصَةٌ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطَأًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
مِنْ عَدُوِّ نَبِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٩٩)

وقال سبحانه :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ » (١٠٠)

وقال سبحانه :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (١٠١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن الاصلاح بين المتخاصمين «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» (١٠٢).

(٩٩) الآيتان ١٢٠ ، ١٢١ من سورة التوبة .

(١٠٠) الآية ١٠ من سورة الجمعة .

(١٠١) الآية ١٥ من سورة الملك .

(١٠٢) رواه ابو داود والترمذى وابن حبان وزاد الترمذى فى روايته «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

وقال عليه الصلاة والسلام في عيادة المريض وماها من مكانة ومنزلة عند الله لما فيها من تخفيف ومواساة «من عاد مريضا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها» (١٠٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبأت من الجنة منزلا» (١٠٤) وقال في إمطة الأذى عن الطريق «عرضت على أعمال أمتي حسننها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق» (١٠٥) وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة - أى كل مفصل من مفاصله - كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة» (١٠٦).

هذا وقد وردت أحاديث عديدة تجعل تبسم المرء في وجه أخيه صدقة، وإسراع الأصم، وهداية الأعمى، وإرشاد الحيران، ودلالة المستدل على حاجته، والسعى بشدة الساقين مع اللهفان المستغيث، والحمل بشدة الذراعين مع الضعيف، وما يدور في هذا الفلك من الأعمال عده الرسول صلى الله عليه وسلم عبادة كريمة، وصدقة طيبة.

وبهذا يعيش المسلم في مجتمعه ينبوعا يفيض بالخير والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة يفعل الخير ويدعو إليه، ويبذل المعروف ويدل عليه فهو مفتاح للخير ومغلاق للشر كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم «طوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر» (١٠٧).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في فضل الزرع والغرس وما يجلب لصاحبه من مثوبة عند الله «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (١٠٨).

وقد شجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الشخص الذى طلق الحياة، وتفرغ للعبادة، وذلك عندما قدم عليه بعض الصحابة، وقالوا يارسول الله!.. إن فلانا يصوم النهار

(١٠٣) رواه الامام أحمد .

(١٠٤) رواه الترمذى وحسنه، وابن ماجه .

(١٠٥) رواه الامام مسلم .

(١٠٦) رواه الشيخان .

(١٠٧) رواه ابن ماجه .

(١٠٨) رواه الترمذى وحسنه .

ويقوم الليل، ويكثر الذكر فقال: «أيكم يكفى طعامه وشرابه؟... - أى يكفيه طعامه وشرابه ويقوم على خدمته - فقالوا كلنا فقال: «كلكم خير منه»^(١٠٩)

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الذين استقلوا عبادتهم فأوغلوا في الانقطاع لها فقال رسول الله عليه وسلم: «فوالله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم به، ولكنى أصلى وأرقد وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»^(١١٠).

هذا وتشمل العبادة كذلك الحاجات الضرورية التى يؤديها المسلم استجابة لدافع الغريزة البشرية فالأكل والشرب ومباشرة الزوج لزوجته وما كان من هذا القبيل يدخله الإسلام في دائرة العبادة مع النية الصادقة، وأوضح شاهد على ذلك ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه «وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا: آياتى أحدنا شهوته ولكون له فيها أجر؟ قال «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا نعم!! قال «كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»^(١١١) وهذا من تمام رحمة الله على عباده يشيهم على ما فيه قضاء شهواتهم إذا نوا أداء حق الزوجة وإحصان الفرج.

درجات العبادة

مما لا شك فيه أن ثمة فروقا بين العبادة وبعضها. وكلها مقبول إن شاء الله، وكلها مجزى عنه بأفضل منه فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعةائة ضعف إلى ما شاء الله.

والإسلام في تربيته يراعى التوفيق بين مطالب الحياة والمجتمع، وبين واجبات العقيدة والعبادة، وبين حقوق النفس والأهل، فهو يراعى حق الله بالطاعة والعبادة، وحق النفس والبدن بالطعام والراحة والرياضة والتهديب والتقويم، وحق الأهل بالمعاشرة الحسنة والرعاية الطبية والتأديب، والقيام بواجباته نحوهم كل بحسب علاقته قال الرسول صلى الله عليه

(١٠٩) رواه البخارى والترمذى .

(١١٠) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

(١١١) رواه مسلم والترمذى ومعنى «البُضع» الجماع أو الفرج نفسه .

وسلم «إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه» (١١٢).

نعم :! تمت درجات قال الله سبحانه :

« أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ » (١١٣).

تصحيح مفهوم العبادة :

مما يدعو إلى الأسف أن المسلمين تناسوا مفهوم العبادة وجعلوها مجرد طقوس ومراسيم يؤدونها في ساعات محددة، ثم يقضون بقية وقتهم بل غالب وقتهم في حل من العبادة.

فتراهم قد اعتدوا كل حد من حدود الله ، اقترفوا الكذب والخيانة، مشوا بالغيبة والنميمة، ارتكبوا الزنا، أكلوا الربا، نكثوا العهود، أكلوا حقوق إخوانهم، اضطهدوا الضعفاء، استخدموا كل جوارحهم في عبودية النفس الأمارة بالسوء. وحسبوا أنهم ماداموا يؤدون الصلوات الخمس،

(١١٢) رواه البخارى .

(١١٣) الآيات ٢٢/١٩ من سورة التوبة .

ويتلون كتاب الله ولو تلاوة لا تتجاوز اللسان والحلقوم، ويؤدون زكاة أموالهم ويصومون ويحجون حسبوا بذلك أنهم عباد الله المخلصون الأوفياء.

فهل هذه هي العبادة؟

لا وألف لا : ليس بعابد من فعل هذه الفرائض وأطلق لنفسه الحرية في أكل لحم الخنزير، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، أو رفض مالا يروق في نظره من أحكام الشريعة فيحكم بغير ما أنزل الله!! ليس بعابد من أدى الشعائر ولكنه لم يخضع لآداب الإسلام كالرجل يلبس الحرير الخالص ويتحلى بالذهب ويتشبه بالنساء. والمرأة التي تلبس ما يبرز مفاتها ولا يغطي جسدها ولا تضرب بخمارها على جبينها، ليس بعابد من ظن أن عبوديته لا تعدو جدران المسجد فإذا انطلق في ميادين الحياة فهو عبد نفسه.

إن المؤمن العابد ليجد في عبادة ربه في ساعة الشدة سكينه لنفسه، وأنسا لوحشته، وانشرحا لصدرة، وتخفيفا عن كاهله كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

« وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (١١٤).

إن لكل عبادة من العبادات الصحيحة أثرا في تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه، فإذا خلت العبادة من هذا المعنى لم تكن عبادة.

خذ مثلا عبادة الصلاة وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الاتيان بها، وإقامة الشيء هو الاتيان به مقوما كاملا تصدر عنه آثاره، وأثار الصلاة ونتائجها ما أنبأنا الله تعالى به بقوله:

« إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ » (١١٥).

(١١٤) الآيات ٩٧/٩٩ آخر سورة الحجر.

(١١٥) من الآية ٤٥ من سورة العنكبوت.

وبعد

فهذه هى العبادة وهذه هى حقيقتها بمعناها الواسع الشامل وليست هى الصلاة والصوم والزكاة والحج والذكر والتسبيح والتهليل فقط ولا تمت لأُمور الدنيا بصلة كما حسبها البعض.

فما الصلاة والصوم والزكاة والحج إلا جزء من العبادة الرئيسية تعد الانسان للعبادة الرئيسية التى تسمو بحياته من أدنى ما يكون من درجات الحياة الحيوانية إلى أرفع ما يكون من درجات الحياة الإنسانية، وتجعله خادما وفيما لمولاه يخدمه فى كل لحظة من لحظات حياته بكل قواه الجسدية والروحية، وعندما يبلغ الإنسان هذه الدرجة ينال ذلك الشرف الذى لا قبل لمخلوق فى الكون أن ينازعه فيه، فيكون خليفة الله فى الأرض بالمعنى الحقيقى التام، لا يُستذل بمد يد الاستجداء أمام أحد سوى الله، ولا يوضع فى عنقه إلا نير وعبودية الله الواحد، ولا يوضع فى رجله إلا أغلالها، ولا يتطأ رأسه إلا له سبحانه وتعالى، يكون عبدا لله مطيعا له ومطاعا لمن سواه، نائباً عن الله سبحانه فى أرضه تحت أمره الكريم قال الله تعالى

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ
بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْعًا وَمَنْ كَفَرَ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (١١٦)

هذا جزاؤه فى الدنيا، أما جزاؤه فى الآخرة فبينه الله بقوله

« وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَائِزُونَ » (١١٧)

(١١٦) الآية ٥٥ من سورة النور.

(١١٧) الآية ٥٢ من سورة النور.

وبقوله :

« وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » (١١٨).

وبقوله :

« رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١١٩).

جعلنا الله من العابدين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١١٨) الآية ٦٩ من سورة النساء .

(١١٩) الآيتان ٣٧ ، ٣٨ من سورة النور .